جامعة المسيلة

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية

مقياس: جيوبوليتيك العلاقات الدولية

السنة الثالثة علاقات دولية 2021/2020

الدرس الثاني عشر :المدرسة الروسية في الجيوبوليتيك.

طالما كان الفكر الجيوبوليتيكي التقليدي العلم الذي يقدم المشورة للملك أو القائد لتحقيق التوسع والنفوذ وقوة الدولة، وذلك استنادا إلى المقومات الجغرافية بما تتضمنه من عمق استراتيجي ووظائف حيوية للسياسة العليا للبلاد، وروسيا لم تكن بمعزل عن هذا الأمر في عصور التوسع والهيمنة.

ظهرت المدرسة الجيوبوليتيكية الروسية في وقت متأخر من النظريات المماثلة في الغرب، ومع ذلك يمكن أن تعزى الافكار الجيوبوليتيكية المسجلة لأول مرة إلى 1510، من خلال مخطوطات الكنيسة من قبل الراهب فيلوفاي Filofei، وهو راهب من دير Spaso-Elizarova سباسو إليزاروفا في بسكوف Pskov، والذي صاغ مفهوم: "موسكو هي روما الثالثة" اذ تحولت هذه العبارة إلى مبدأ أساسي من مبادئ الجيوبوليتيك الروسية، تميزه الرؤية "التبشيرية" و"العالمية" كخصوصية للفكر الجيوبوليتيكي الروسي، ومن أجل فهم خصوصيات الموقع الجيوبوليتيكي لأي بلد قام الجيوبوليتيكيون الروس بتحديد المواقع الجيوبوليتيكية للدول ليس كتطور تاريخي

فحسب بل كعملية حيث تلعب العوامل الجغرافية "المكان" المرتبطة بالزمن دورا في تشكيل و/أو التأثير على البيئة الجيوبوليتيكية.

إن الموقع الجيوبوليتيكي الحالي لروسيا كلفها 334 سنة من القتال ضد المخاطر الخارجية انتهت بالحرب العالمية الاولى وتضاعفت الاراضي الروسية خلال هذه الفترة بـ 400 مرة، على ضوء الفكر الجيوبوليتيك الروسي القائم على مبدأين: **أولا** : ضرورة ضم المناطق المجاورة غير المستقرة من الاعداء السابقين مثل كازان، وسيبيريا، **ثانيا:** ضرورة الوصول إلى المحيطات كأمر حيوي لتحقيق التنمية في الدولة، وأدت هذه الافتراضات إلى شن حروب روسية عديدة[1].

أشار الآباء المؤسسين للفكر الجيوبوليتيكي الروسي ان هناك خصائص فريدة في الجغرافيا ونمط الحياة في روسيا كالرقعة الترابية الواسعة، والتوزيع السكاني عبرها، وعدم تنوع الأنشطة العمالية والتهديد الدائم للغزو الأجنبي، وهي العوامل التي تشجع على وجود والحفاظ على سلطة مركزية قوية، اذ كانت التحليلات الجيوبوليتيكية في تلك الحقبة تنتج كـ "كتابة" للقادة السياسيين والعسكريين لتبرير أفعالهم وسياساتهم، إذ أشار المفكر الجيوبوليتيكي الروسي سولوفييف S.Soloviev إلى وجود صلة بين التغيرات المناخية وأنواع النشاط وأشكال التنظيم السوسيو-سياسي، وركز انتباهه على تحليل مقارن الجغرافيا والمناخ ومستويات الحريات الفردية في روسيا والولايات المتحدة الأمريكية، بقوله: " يتم تحديد الحريات الأمريكية، وكذلك الثروة الأمريكية من خلال جغرافيا الولايات المتحدة، كما تتحدد حريتنا وثرواتنا بالجغرافيا الروسية. وبالتالي، فإنه لن يكون لنا نفس حريات البريطانيين والأميركيين، لأن أمنهم مكفول من قبل البحار والمحيطات، ولكن أمننا لا يضمن الا من خلال التجنيد العسكري"[2].

.

لم تتغير الطروحات بظهور التيار الفكري الجيوبوليتيك الفرعي ذو التوجه الاوراسي في بداية القرن 20، اذ تم مواصلة تطوير الجيوبوليتيك كنظرية وسياسة وقادها كل من العالم اللغوي الشهير والمؤرخ تروبسكوي N.S.Trubetskoy 1890–1938، وأستاذ الجغرافيا والجيوبوليتيكي سافتسكي P.N.Savitskyi 1895–1968 والمؤرخ فارنادسكي G.V.Vernadskiy 1877–1973، وقد اسسوا لاعتبار الجيوبوليتيك كأداة للسياسة القومية[3]، فقد أوضح تروبسكوي دعوته لضرورة التفاف شعوب اروسيا حول موسكو، والاشادة بالاتحاد الروسي واهميته في اوراسيا بقوله:

"...كانت تسمى سابقا الإمبراطورية الروسية وفي الوقت الحاضر تدعى الاتحاد السوفياتي، لم تكن قائمة إلا على تكوين جميع القوميات والهويات المتعددة الجنسيات مع الهوية الخاصة لكل قومية، ونحن ندعو هذه الشعوب بالاوراسيين Eurasians، وتدعى أراضيها "أوراسيا"، وقوميتهم تدعى الارواسية"[4]، ويعتقد سافيتسكي ان روسيا تكوينا حضاريا مميزا تحدده خاصية التوسط باعتباره ارض الوسط Mainland، وانها جماع الثقافة العالمية والتاريخ العالمي وقد تجليا في المكان والزمان[5]، وان اوربا ليست سوى "الرأس الغربي" لأوراسيا، وأن هذه الميزة في نظر الاوراسيين خلق مبدأين تاريخيين أساسيين للدولة الروسية هما: 1/ الطابع الإمبراطوري للسياسة الخارجية، 2/ حس القوة العظمى كدولة. فتاريخيا تم تشكيل الأراضي الروسية من انضمام الدول المجاورة والمناطق غير المستقرة، ودمج المناطق المتنازع عليها في الإمبراطورية الروسية، وكانت الجيوبوليتيك الروسية أيديولوجية بدلا من آلية لتنفيذ السياسات، فقد كان الجيوبوليتيكي الروسي دانيلفسكي N.Danilevskiy يضغط ويدعو القادة الروس من أجل تأسيس دولة اتحاد السلافيين، وعاصمتها القسطنطينية، هذا وكان الاتحاد لتوحيد الأراضي السلافية التالية: الدولتان

الأرثوذكسيتان (الإمبراطورية الروسية ومملكة بلغاريا)، دولة السلافية الكاثوليكية (مملكة تشيكو–مورافو سلوفاكيا)، الدولة اليوغوسلافية من المملكة الصربية–الكرواتية–السلافية، مملكة رومانيا، المملكة الهيلينية، وكذلك المملكة المجرية، ولقد استمر الفكر الجيوبوليتيكي الروسي بنفس المبادىء والافكار طوال القرن ال 19...

وهكذا، فإن المرحلة الثانية من تطور هذا الفكر في روسيا يمكن أن تعود إلى بداية القرن العشرين، وظهور مصطلح " القارية الاشتراكية " Socialist Continentalism، ذو الدلالة الجيوبوليتيكية المنضوية على مكافحة "عبر–الأطلسية" استنادا إلى فرضية: الحاجة لمعارضة الدول الرائدة في القارة عبر–الأطلسية، وكانت الفكرة في البداية لإقامة الاشتراكية في بلد واحد وبعد ذلك توسيع النفوذ إلى مناطق أخرى لخلق مجتمع اشتراكي واسع[6]. وأن كل توتر جيوبوليتيكي يتعلق بروسيا يفضي إلى تعبئة عامة داخل روسيا وموجة من التحليلات والكتابات المتنوعة، وتعود الى الواجهة اطروحات الحرب الباردة والامبريالية والمجد الروسي والصراع مع الغرب... على كل فان تحليل المدرسة الجيوبوليتيكية الروسية يوجب علينا القاء نظرة أشمل للإطار المفاهيمي المرتبط اساسا بالسلوك الخارجي الروسي، اذ انه لفهم الصراع والتنافس الجيوبوليتيكي –خاصة ذو الأسباب المعقدة– يجب فهم أفكار اللاعبين الرئيسيين ".

في الثمانينيات من القرن الماضي، ولأول مرة في تاريخ روسيا، سادت "الرؤية الأطلسية" وبدأت تظهر في الفكر الجيوبوليتكي الروسي وكذلك كمبررات نظرية لقرارات السياسة الخارجية، فقد وجدت الدولة نفسها في موقف جيوستراتيجي ضعيف، اذ انحسرت روسيا في عمق القارة مع فقدان الوصول إلى البحار المفتوحة، وقبول

مناطق عازلة بين أوروبا الغربية وروسيا بسبب سياسة دول اروبا الشرقية للتملص من روسيا، وتركزت المناقشات الجيوبوليتيكية نتيجة لهذه المعضلة حول ثلاثة اتجاهات: الاتجاه عبر–الأطلسي، اتجاه الانعزال عن العالم الغربي والنزوع نحو التنوع الشرقي، أو نهج براغماتي متوازن بين دول الجوار الغربية والشرقية مع الحفاظ على استدامة سيادة التفرد الثقافي الروسي[7]

وقد تاسس ما يعرف بالمدرسة الاوراسية المعاصرة في روسيا تحت قيادة الكسندر دوغين Alexandre Dougine في التسعينيات، وتعود اصولها الى الفكر الجيوبوليتيكي لبيتر سفيتسكي Petr Savitski، اضافة الى نيكولاي دانيليفسكي Nikolaï Danilevski، هؤلاء الثلاثة هم الرواد المعاصرون للفكر الجيوبوليتيكي الروسي الحالي، والذي يعرف نفسه باعتبار روسيا هي امة ودولة ذات حضارة اصيلة: لا سوفياتية ولا أمريكية ولا أوروبية ولا آسيوية، وانها في سعي دائم لبناء هويتها الخاصة في حضارتها المستقلة[8]. وكما اشرنا فان أول مؤلف أثر بعمق في المدرسة الجيوبوليكيية الروسية هو نيكولاي دانيليفسكي، في كتابه "روسيا وأوروبا" الذي الفه ما بين سنتي 1865 و 1867، وقد وضع من خلاله أسس التحليل الحضاري في العلاقات الدولية، اذ يعتبر تاريخ العالم هو عبارة عن صراع دائم بين الحضارات الرومانية والبيزنطية، وهي ممثلة في العصر الحديث بالصراع بين الحضارات السلافية slaves من جهة، والجرمانية–اللاتينية من جهة اخرى، وبعد سنوات عدة، وتحديدا في عشرينيات القرن الماضي، تطورت الاطروحات الجيوبوليتيكية الروسية التي اصبحت تعتبر ان روسيا كقارة ثالثة التي تربط بين الغرب وآسيا: وهو الاساس الذي تقوم عليه المدرسة الأوراسية. وهكذا، في كتابه

"الدوران نحو الشرق" في عام 1921، طور "بيوتر سافسكي" Piotr Savicki مفهوم "دول القارة"، تفهم على أنها "المجتمعات السياسية–الاقتصادية التي تكون بوابات للقارات او تشكل قارة الوسط".[9]

والملفت ان الاتحاد السوفياتي كان يرفض أي نظرية لا تقوم على اسس الأيديولوجية الاشتراكية من النظريات الماركسية، اذ كانت تعتبر الجيوبوليتيك من تخصصات العلوم البرجوازية ان صح التعبير، فهي العلم الزائف الذي كان مرتبطا بشكل وثيق مع الفاشية والنازية، وقد عرف القاموس السياسي لعام 1956 الجيوبوليتيك "بأنها "نظرية رجعية لتفسير الظواهر المجتمعية – بما في ذلك الحروب – لأسباب جغرافية، وهدفها أن تكون لتبرير وإثبات ملكية الأراضي والقهر الامبريالي للشعوب الأجنبية ".

لقد افرز سقوط الإمبراطورية السوفياتية حالة شغور منهجية مقلقة: في حين أن جميع الميكانزمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، يتم تحليلها على ضوء النظريات الماركسية، وقد اعتبرت في مرحلة ما أنها قد عفا عليها الزمن. وفي هذا السياق، في التسعينيات اسس الكسندر دوغين دوريته الجيوبوليتيكية، واستعرض افكاره الجيوبوليتيكية، وقام بإعادة إصدار النصوص الاولى للمدرسة الأوراسية الروسية في أوائل القرن العشرين، لاقى كتابه الأول: "قواعد جيوبوليتيكية"، نجاحا كبيرا ووضع الأساس للاعتراف بالاوراسية كعقيدة جيوبوليتيكية روسية، ليست فقط مهيمنة وانما الوحيدة في روسيا الحديثة.